البصرة في العصر المغولي (الإليخاني) دراسة في أحوالها السياسية والإدارية ٦٥٦-٧٣٨هـ/١٢٥٨-١٣٣٧م

أ.د. محمد ضايع حسون أ.د. فراس سليم حياوي أ.م.د. فلاح محمود خضر
كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

المقدمة:

كانت مدينة البصرة منذ ان مصرها العرب المسلمون من الحواضر العربية الإسلامية المهمة في تاريخ العراق، فقد كان لهذه المدينة العربية تاريخ عريق حافل بالأحداث، وكان لموقعها الجغرافي ونموها السريع وما شهدته من تطورات سياسية وحضارية أثرٌ واضحٌ في اكتسابها هذه الأهمية على مر العصور.

وخلال مرحلة التسلط المغولي على العراق، اتبع حكام المغول كل الأساليب من اجل تحقيق أغراضهم في الاحتلال والسيطرة واستغلال موارده، فكانت البصرة جزءاً مهماً من العراق على رأس اهتمامهم في استغلال الموارد ونهب الثروات، فضلاً عن حالات الفوضى وعدم الاستقرار الإداري والسياسي طيلة هذه الحقبة.

ان معظم الدراسات التي تناولت الحقبة المغولية قد بحث تاريخ العراق على نحو عام، ولم نجد دراسة خاصة عن تواريخ المدن في العراق خلال حقبة التسلط المغولي ومنها مدينة البصرة، لا جاء هدف الدراسة منحصراً في بحث أحوال هذه المدينة السياسية وتنظيماتها الإدارية.

لقد واجهت البحث صعوبات اغلبها تتعلق بقلة المعلومات وندرتها في المصادر التاريخية، مما تطلب منا جهداً في جمعها وتحليلها وذلك بالرجوع إلى مصادر عديدة ومتنوعة لدراسة أحوال البصرة السياسية والإدارية.

قسمت الدراسة على مبحثين أحدهما في الاحتلال المغولي للعراق وسيطرته على بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ثم دراسة أحوال البصرة السياسية في ظل السيطرة المغولية، أما الآخر فأنه خصص لدراسة إدارة المغول لمدينة البصرة وقد تضمن أبرز الوظائف الإدارية وطبيعتها المدنية والعسكرية والمالية والدينية المتمثلة بالشحنة والصدر والمشرف والقضاء والنقابة.

اما اهم المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب (الكامل في التاريخ) لأبن الاثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي عاصر بداية الغزو المغولي، وأمدنا بمعلومات بداية ظهور المغول وغزوهم المشرق الإسلامي ثم بدايات هجومهم على العراق وكتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) فانه رفد البحث بمعلومات قيمة، أفادتنا في دراسة الأوضاع السياسية في العراق عامة ومدينة البصرة خاصة، ويعد كتاب (جامع التواريخ) لرشيد الدين الهمداني (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) من أهم المصادر لدراسة تاريخ المعول حيث تناول تاريخهم السياسي وسيطرتهم على العراق وبقية مدنه وتنظيم إدارة البلاد.

ومن المصادر التي كان لها أهمية في دراسة هذه الحقبة مصنف ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) والموسوم (مجمع الآداب في معجم الالقاب) وهو كتاب في تراجم الرجال مرتباً بحسب الحروف الهجائية وفيه دوَّن ابن الفوطي معلومات مهمة عن أهم الأحداث منذ احتلال بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م فقد ضمنه تراجم حكام الدولة الاليخانية وغيرها من الشخصيات الإدارية والفكرية، وكتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة) لمؤلف مجهول وينسب إلى ابن الفوطي فهو يعد من أهم مصادر البحث فيه معلومات مفيدة ومفصلة عن نشاط المغول العسكري وأحوال العراق السياسية وكذلك أحوال المدن ومنها مدينة البصرة وخاصة أهم الوظائف الإدارية مع ذكر أسماء أصحاب المناصب والوظائف فيها.

ومن المصادر الأخر كتاب (المختصر في اخبار البشر) لأبي الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) وكتاب (البداية والنهاية في التاريخ) لابن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) وكتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ومن كتب الرحلات كتاب (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) لابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

أما المراجع الحديثة فمن أهمها كتاب عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين) وخاصة الجزء المتخصص بحكم المغول في العراق وكتاب الدكتور جعفر حسين خصباك (العراق في عهد المغول الاليخانيين) وكتابا الدكتور محمد صالح داود القزاز (الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير) و(الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية) وغيرها من المراجع.

المبحث الأول

الاحتلال المغولي للعراق

١- احتلال المغول لبغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

بعد ان تمكن المغول[١] من احتلال الدولة الخوارزمية[٢] والقضاء على قلاع الاسماعيلية[٣] بدأوا بالإعداد إلى حملة لغزو العراق، وقد سبق ذلك قيامهم بعدة هجمات، هدفها إشاعة الرعب بين الناس والوقوف على وضع الخلافة العباسية من الناحية العسكرية.

---

[١] عرف المغول باسماء مختلفة منها المغل والتتر والتتار، وهي مسميات لشعب واحد يتكون من قبائل متعددة ويعدون جميعاً من الترك، وهم أهل بداوة يتنقلون في مواطنهم من مكان إلى لآخر وسط آسيا، والواقع ان تاريخ المغول السياسي بدأ مع ظهور جنكيز خان الذي نجح في استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سياسية وإدارية واجتماعية قدر لها الاستمرار بفضل مهارته وحسن قيادته. ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ج٩، ص٣٣٠؛ ابن الوردي، زين الدين عمر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: احمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص٢٠؛ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: احمد أبو ملحم وآخرون، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج١٣، ص٩٠؛ العريني، الباز، المغول، دار النهضة، بيروت، ١٩٦٧م، ص٣٤؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧٠م، ص٦؛ فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، دار الخليج للطباعة، الشارقة ١٩٨٣م، ص١١٩؛

Supuler, Bertold, The Muslims world , The mongol Period Leiden, 1969,Vol,2 , p. 1-2.

[٢] الدولة الخوارزمية واحدة من الدول التي قامت في المشرق الإسلامي عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م على يد محمد بن انوشتكين الذي تولى الحكم في مدينة خوارزم من قبل السلاجقة فلقب خوارزم شاه، وقد أقره السلطان سنجر السلجوقي عليها وتوارث الحكم بعده ابناؤه. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٤.

[٣] سموا بالإسماعيلية لأنهم قالوا الإمام بعد جعفر الصادق هو إسماعيل، وأطلق عليهم تسميات أخر منها: الباطنية والحشاشون والملاحدة، ومؤسس هذه الأسرة في إيران الداعي حسن الصباح (ت٥١٨هـ/١١٢٤) الذي تمكن عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م من السيطرة على قلعة الموت وعلى منطقة قريبة من رودبار التابعة إلى قزوين. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م، ص١٦٨، ١٩١-١٩٢؛ مشكور، محمد جواد، موسوعة الفرق الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٠٢، ١٠٥-١٠٦.

بدأت هجماتهم على مدن العراق منذ عام ٦١٨هـ/١٢٢١م حيث هاجمت قواتهم مدينة اربل[١] التي استنجدت بأمير الموصل بدر الدين لؤلؤ[٢] الذي بادر بإرسال مجموعة من العسكر إليها[٣]، ولما علم الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩- ١٢٢٥م) بذلك كتب إلى أمير الموصل واربل يأمرهما بالانضمام الى عساكره في داقوقا[٤] ثم بعث إليهم الخليفة قوة تقدر بثمانمائة من العسكر واصبح المقدم على الجميع الأمير مظفر الدين[٥] كوكبري الذي لم يشتبك مع المغول بسبب قلة القوات التي كانت معه، علماً بان الخليفة الناصر كان قد وعده بإرسال عشرة آلاف رجل لمواجهتهم، إلا ان المغول انسحبوا نظراً لبعدهم من جهة وخوفهم من تجمع الجيوش عليهم من جهة أخرى[٦].

يتضح من هذا الهجوم الذي تعرضت له اربل مدى عجز الخليفة عن تجهيز القوات اللازمة لصد الهجمة المغولية التي ربما لو لم ترجع وقامت بتنفيذ هجومها لتمكنت من احتلال اربل هذا في الوقت الذي كانت فيه الخلافة تتمتع بشيء من القوة، إذن فليس من الغريب ان يتمكن المغول من السيطرة على بغداد في عهد الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢- ١٢٥٨م)، ولاسيما ان الضعف بدا يدب في أوصال الخلافة في هذه المدة، فضلاً عن ضخامة الجيش الذي أعده المغول وإصرارهم على احتلال بغداد.

أعقب ذلك مدة من الهدوء استمرت عشر سنوات انتهت بهزيمة جلال الدين منكبرتي آخر سلاطين الخوارزميين في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، فأرسل المغول فيها قوة الى اربل قاموا بأعمال النهب والقتل إلى ان دخلوا المدينة، فخرج إليهم صاحبها ومعه قوة وصلت إليه من الموصل، إلا انه لم يستطع إدراكهم لان المغول عادوا إلى اذربيجان[٧]، وفي عام

---

[١] اربل، قلعة ومدينة كبيرة وهي من أعمال الموصل. ينظر: الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص١٣٧-١٣٨.

[٢] لقب بالملك الرحيم ملك الموصل نحو خمسين عاماً بعد أن أزال الدولة الاتابكية منها، وبعد واقعة بغداد توجه إلى هولاكو خان فأكرمه وأعاده فلما دخل الموصل مرض أيام ومات. ينظر: ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، (منسوب إليه) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: الدكتور بشار عواد والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٦٦-٣٦٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٧؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٥، ص٢٨٩.

[٣] الغساني، الملك الاشرف إسماعيل بن العباس (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، بيروت، ١٩٧٥م، ج٢، ص٣٨٤.

[٤] داقوقا: مدينة بين اربل وبغداد. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٩.

[٥] مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن أبي الحسن علي بن بكتكين الملقب بالملك المعظم صاحب اربل تولاها بعد وفاة والده وبقي فيها إلى أن توفي عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار صادر، ١٩٧٨، ج٤، ص١١٣-١٢١؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٧.

[٦] ابن الأثير، الكامل، ج٩، ٣٣٧-٣٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص٩٧؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨خ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٥٨٧.

[٧] ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٨٥-٣٨٦؛ الغساني، المسجد، ج٢، ص٤٤٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٩٣.

٦٢٩هـ/١٢٣١م هاجم المغول شهرزور[١] فانتدب الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣- ٦٤٠هـ/١٢٢٦- ١٢٤٢م) صاحب اربل بعد ان جهزه بقوة من عنده، الا ان المغول هربوا منهم[٢].

وتكرر الهجوم المغولي عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م على مدينة اربل ومنها توجهوا إلى الموصل فأمر الخليفة المستنصر بالله بتجهيز العساكر واستنفار الاعراب من البوادي وجعل قيادتها إلى الأمير جمال الدين قشتمر[٣]، ولما علم المغول عادوا إلى بلادهم ورجعت العساكر إلى بغداد[٤]، وفي عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م هاجم المغول اربل من جديد فهرب أهل المدينة المدينة إلى قلعتها فحاصرها المغول أربعين يوماً ولم يتم فك الحصار إلا بعد ان سلمهم أهلها الأموال فغادروها[٥].

وعاود المغول غزو مدينة اربل في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م فخرج عدد من سكانها الى المناطق الأخرى وقام زعيمها الأمير شمس الدين باتكين[٦] باخراج العساكر الى ظاهر البلد من اجل حراسة المدينة، الا ان المغول عدلوا عن دخولها [٧]، ثم توجهوا بعد ذلك إلى بغداد ومنها إلى سامراء، فتصدى لهم مجاهد الدين الداويدار[٨] وشرف الدين اقبال الشرابي[٩] الشرابي[٩] على رأس قوة تمكنوا من هزيمة المغول، إلا انهم عادوا في آخر العام من جديد إلى بغداد ووصلوا إلى خانقين

---

[١] شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان وأهلها كلهم أكراد. ينظر: ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩/١٣٣٨م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤م، ج٢، ص٨٢٢.

[٢] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٣.

[٣] الأمير جمال الدين قشتمر الناصري وصف بحسن السيرة والشجاعة تسلم إقطاع الحلة ثم شحنكية واسط ولم يزل مقدماً مقدماً على العسكر إلى أن توفي عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٦٠-١٦١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص١٨٩.

[٤] ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، ص٢٤٩؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١١٣-١١٤؛ الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٦م، ج٥، ص١٣٣؛ الغساني، العسجد، ج٢، ص٤٧٠.

[٥] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٠؛ الذهبي، العبر، ج٥، ص١٣٦؛ اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان، ط٢، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٠م، ج٤، ص٨٥.

[٦] الأمير أبو المظفر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري كان مملوكاً لعائشة ابنة الخليفة المستنجد بالله خدم جندياً وأقام بتكريت مدة ثم سلمت إليه البصرة فأقام بها ثلاثاً وعشرين سنة ولما ملك الخليفة اربل جعله والياً عليها توفي عام ٦٤٠هـ/١٢٤٢م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٠٩- ٢١١.

[٧] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٣٧-١٣٨.

[٨] مجاهد الدين ايبك الداويدار الصغير كان مقدم جيش العراق في عصر الخليفة المستعصم بالله. للمزيد ينظر: الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: أبو عبدالله عبد السلام محمد عمر علوش، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م، ج١٦، ص٥٦١.

[٩] شرف الدين أبو الفضائل المستنصري الشرابي، كان في عهد الخليفة المستنصر شرابيا وزادت مكانته في عهد الخليفة المستعصم بالله الذي أرسله لمقاومة المغول فهزمهم، وكان شرف الدين في خدمة الخليفة بالحلة إلى أن مرض فحمل إلى بغداد وتوفي هناك عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣٢٤-٣٢٦؛ الكتبي، محمد

[١]، فاشتبك معهم جيش الخلافة وكانت المعركة لصالح المغول[٢]، كما وصلت قوات مغولية جديدة إلى خانقين في عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م وعلى أثر ذلك اصدر الخليفة أوامره بخروج القوات فتراجع المغول عنها[٣].

وشن المغول هجوماً آخر على خانقين عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م فتصدت لهن العساكر وأهالي المدينة، إلا انهم رجعوا بعد ان قاموا بأعمال القتل والنهب في داقوقا[٤]، ويبدو ان هذه آخر هجمة مغولية على العراق حتى هجمتهم الكبرى عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م التي تمخض عنها احتلالهم العراق وسيطرتهم على العاصمة بغداد.

بدأ المغول بالإعداد لحملتهم على العراق منذ عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م ولكن هذه الحملة سبقها جملة من المراسلات بدأت منذ عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، وعندما استقر هولاكو في كيش غرب سمرقند راسل الخليفة المستعصم بالله عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م من اجل التعاون معه ضد الاسماعيلية لكن الخليفة لم يرسل إليه النجدة، بسبب ان الأمراء قد أقنعوه بان غرض هولاكو من ذلك هو إخلاء بغداد من الجيش ليتمكنوا من الدخول إليها دون ان يكون هناك عائق يمنعهم[٥]، كذلك بعث هولاكو الى الخليفة رسالة تهديد لعدم إرسال الجند إليهم في وقت فتحهم لقلاع الاسماعيلية مذكراً إياه بما حل بالخوارزميين وغيرهم مطالباً إياه بطاعة المغول[٦].

كان رد الخليفة على هذه الرسالة عنيفاً فقد هدد هولاكو بالقضاء على المغول في إيران ثم دعاه إلى إتباع أسلوب الود والسلام، أما إذا أراد الحرب فانه مستعد لذلك [٧]، وكان على الخليفة ان يدرك انه لم يكن له سند حقيقي قوي يمكنه من الصمود أمام القوات المغولية التي استطاعت ان تتغلب على اكبر القوى في مدة قليلة من الزمن وخاصة ان العالم

بن شاكر (ت٧٦٤-١٣٦٣م)، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م، ح٢٠، ص٨٤-٨٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٦٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٦١.

[١] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥١؛ الأمين، حسن، المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م، ص٨٧.

[٢] الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، دول الإسلام، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٨م، ج٢، ص١٤٠؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، ج١، ق٢، ص٢٧٣.

[٣] الغساني، العسجد، ج٢، ص٥٣٥.

[٤] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٢٨٥، ٢٨٦.

[٥] الطوسي، عبد الله محمد بن محمد الحسن نصير الدين (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، كيفية واقعة بغداد، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م، ص ٢٨٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٩؛ فوزي، فاروق عمر، تاريخ العراق عصور الخلافة العربية الاسلامية، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٣٣٤.

[٦] الهمداني: رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد، القاهرة، ١٩٦٠م، ج١، ص ٢٦٧- ٢٦٨؛ فاعور، أحمد وشحادة الناطور، تاريخ الدولة العربية حتى نهاية الغزو المغولي، د. ط، ١٩٨٣ن، ص ٢٣٤؛ التكريتي، سلمان، بغداد، مدينة السلام وغزو المغول، مطبعة اوفسيت، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٢١٧؛

Mulr, W, The Caliphate , it srise , Declline , And Fall , Edinburgh , 1924 , P. 45.

[٧] الهمداني، جامع التواريخ، د١، ص ٢٦٩- ٢٧٠.

الإسلامي في ذلك الوقت كان يسوده التفكك والانحلال فلا يمكن ان يهب احد لنجدته، فكانت هذه الرسالة ذات نتائج عكسية جعلت هولاكو يصمم على احتلال بغداد[١].

أرسل هولاكو رسالة أخرى إلى الخليفة المستعصم بالله يهدده بالمسير إلى العراق بقوله: ((فأنني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد))[٢]، إزاء ذلك استشار الخليفة المستعصم وزيره ابن العلقمي بما يفعله فأشار عليه بإرضائه بالأموال والهدايا، إلا ان الدويدار الصغير وأصحابه اقنعوا الخليفة بعدم إرسال تلك الهدايا بحجة ان الوزير كان متعاوناً مع التتار وانه يريد تسليم البلاد لهم، فاكتفى الخليفة بإرسال شيء قليل من الهدايا مما اغضب هولاكو[٣].

وقبل ان يقدم هولاكو باحتلال بغداد اخذ رأي بعض الفلكيين منهم حسام الدين الذي نصحه بعدم التوجه إلى بغداد مبيناً له الأخطار الناجمة عن الإساءة للعباسيين[٤]، إلا ان إصرار الأمراء للسيطرة على بغداد جعله يستدعي نصير الدين الطوسي[٥] الذي بين ان أياً من تلك الأمور لن يحدث عند توجهه إلى بغداد[٦].

ويمكن إرجاع تردد هولاكو أيضاً إلى خشيته من الخليفة فعلى الرغم من ان سلطانه الزمني كان ضعيفاً إلا ان سلطته الدينية كانت ما تزال قوية[٧].

قرر هولاكو أخيراً الزحف باتجاه بغداد بعد ان أعد خطة محكمة لمحاصرتها، فأمر ان تتحرك جيوش الميمنة إلى الموصل عن طريق اربل وتعبر جسر الموصل ثم تتوجه إلى الجانب الغربي من بغداد[١]، أما قوات الميسرة فانها اتخذت

---

[١] الصياد، فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٣٤.

[٢] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٧١.

[٣] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٩- ٢٧٠؛ ميرخواند، حميد الدين محمد بن خداوندشاه بن محمود (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٨م)، تاريخ روضة الصفا، جاب بيروز، طهران، ١٣٣٩هـ. ش، ج٥، ص ٢٤٠- ٢٤١؛ فوزي، تاريخ العراق، ص ٣٦٤.

[٤] هو من أكبر المنجمين كان مصاحباً لهولاكو بأمر من القان وقد بين له الاخطار الناجمة من احتلال بغداد منها عدم طلوع الشمس ومرض الجند وانهيار العالم بالزلازل وعدم نزول المطر وموت الملك الأعظم في ذلك العام. ينظر: الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٧٩ – ٢٨٠؛ العزاوي، عباس، تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالأقطار الاسلامية والعربية في العصور التالية لأيام العباسيين من سنة ٦٥٦/١٣٣٥هـ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٨م، ص ٢٢؛ التكريتي، بغداد، ص ١٥٢.

[٥] نصير الدين محمد بن محمد الطوسي له معرفة واسعة بعلم الأوائل كان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي، أصبح من المقربين من السلطان هولاكو وجعله وزيراً له، وأقام له رصداً بمدينة مراغة عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م توفي في بغداد عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٠؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ج٢، ص ٢٤٦- ٢٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٨٣؛ خواندمير، غياث الدين محمد بن همام الدين (ت ٩٣٠هـ/١٢٥٣م)، تاريخ حبيب السير في أخبار افراد البشر، كتابخانة خيام، طهران، ١٣٣٣هـ. ش، ج٣، ص ١٠٥.

[٦] بين نصير الدين الطوسي للسلطان هولاكو مجموعة من الأدلة وان مثل هذه الاحداث لم تقع، والا لما قتل الأمين والمتوكل وغيرهم. ينظر: الهمداني: جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٠؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٣٥م، ج١، ص ١٦٦- ١٦٧؛ التكريتي، بغداد، ص ١٥٢.

[٧] واكيم، سليم، امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، د. ت، ص ١٣٦.

طريق لورستان[٢] إلى بغداد[٣]، أما قوات القلب فتولى قيادتها هولاكو وسار بقواته في التاسع من المحرم عان ٦٥٥هـ/١٢٥٧م من همدان إلى دجلة[٤]، وكان المغول قد كاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بإرسال الإمدادات للجيش المغولي، فأرسلها خوفاً من المغول[٥].

أمر الخليفة المستعصم بالله قائد الجيش الداويدار بالخروج بعساكره من بغداد فنزل قريباً من بعقوبة[٦]، وعندما علم ان الجيش المغولي بقيادة بايجونوين نزل في الجانب الغربي ظن ان هولاكو قد نزل هناك فرحل عنها وأقام بحيال بايجو، والتقى فيما بعد كل من المغول وقوات الداويدار في الانبار ودار بينهما قتال خسر فيه الداويدار فانسحب مع عدد قليل من عسكره إلى بغداد[٧].

تتبعت القوات المغولية بقيادة بايجو القوات المنهزمة إلى داخل بغداد ونزلت في الجانب الغربي منها وشرعوا برمي النشاب[٨]، وأقام هولاكو معسكره في ظاهر المدينة من ناحية الشرق[٩]، وبذلك تمكن المغول من احاطة بغداد من الجانبين وقد سهل ذلك ان جيش الخلافة كان قليلاً وضعيفاً إذ لا يتجاوز عدده عشرة آلاف مقاتل بينما بلغ جيش هولاكو حوالي مائتي ألف[١٠].

وقام المغول حال دخولهم بغداد بحفر خندق وبنوا بترابه سور حول محيطها ونصبوا المناجيق والعرادات[١١]، وفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم بدأ المغول هجومهم على بغداد، عند ذلك حاول الخليفة المستعصم مراسلة هولاكو واظهر له الطاعة بعد ان شعر بعدم قدرته على مقاومة المغول فبعث الوزير والجاثليق إلى هولاكو يقول له: ((ان الملك قد أمر بان ابعث إليه الوزير وها أنا ذا قد لبيت طلبه فينبغي ان يكون الملك عند كلمته))[١٢]، فرد عليه هولاكو قائلاً: ((ان

---

[١] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨١.

[٢] لرستان، جيل من الاكراد في جبال بين اصبهان وخوزستان وتلك النواحي تعرف بهم فيقال بلاد اللُّرّ ويقال لها لُرستان ويقال لها اللُّور أيضاً. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٦.

[٣] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨١.

[٤] الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ص ٢٨٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٩؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨١؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ٣٥.

[٥] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢١٣.

[٦] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٤٩.

[٧] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٠.

[٨] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٥٥؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ١٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢١٣.

[٩] أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د. ت، ج٣، ص ١٩٤.

[١٠] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢١٣؛ فاعور، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٣٤.

[١١] ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠م، ص ٢٧٢؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ، ص ٣٥٥.

[١٢] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧١؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٦– ٢٨٧.

هذا الشرط وأنا على باب همدان أما الآن فنحن على باب بغداد وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة فكيف اقنع بواحد ينبغي ان ترسل هؤلاء الثلاثة يعني الداويدار وسليمان شاه والوزير))[١].

على اثر فشل محاولة الخليفة الأولى في عقد الصلح مع هولاكو قرر إرسال صاحب الديوان فخر الدين الدامغاني وابن الدرنوس[٢] مع القليل من التحف إلى هولاكو إلا ان الأخير لم يلتفت إليه[٣]، مما جعل الخليفة يرسل إليه ابنه الأوسط الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ولم يقتنع به هولاكو أيضاً [٤]، ثم توالت الوفود من الخلافة فأرسل الخليفة ابنه الأكبر ومعه الوزير، إلا ان موقف هولاكو هذه المرة لم يختلف عن السابق[٥].

فبعد فشل جميع الوفود التي أرسلها الخليفة إلى هولاكو قرر أخيراً الاستجابة لطلب هولاكو بإرسال سليمان شاه[٦] والداويدار إليه، إلا انهما عادا إلى المدينة لأخذ أتباعهم معهم ثم رجعوا من جديد إلى هولاكو على أساس ان ينظموا إلى جيش الشام ولكن هولاكو أمر بقتلهم جميعاً[٧]، ثم أمر بقتل الداويدار وسليمان شاه والأمير تاج الدين ابن الداويدار وأرسل رؤوسهم إلى الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ الذي كان صديقاً لسليمان شاه لكنه علق رؤوس الثلاثة خوفاً علي حياته[٨]. حياته[٨].

وعلى اثر مقتل الداويدار وسليمان شاه وجد الخليفة انه لابد من الخروج إلى هولاكو، فخرج إليه في رابع صفر ومعه أولاده وأهله وثلاثة آلاف من أكابر واعيان المدينة، فأمر هولاكو بإقامة الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه بباب كلواذى[٩]، وفي وفي السابع من صفر بدأت أعمال التخريب في بغداد التي شملت دار الخلافة فلم ينج إلا من كان صغيراً[١٠]، وقيل ان أعمال النهب استمرت أربعين يوماً[١١]، في حين ذكرت بعض المصادر انها استمرت اقل من ذلك[١٢].

---

[١] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٧.

[٢] هو عبد الغني ابن الدرنوس كان أول أمره حمالاً لدى أرباب تنانير الأجر ولع بالطيور فعمل براجاً بدار الخليفة المستعصم بالله حتى اصبح من المقربين إليه وكان يراسل به الوزير ويستشيره في الامور ويعمل برأيه، وبعد واقعة بغداد رتبا خازناً بالديوان ثم نقل خازناً الى الكارخانا حتى وفاته عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٤٤٣.

[٣] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٨؛ التكريتي، بغداد، ص ٢١٩.

[٤] الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ١٣٣؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥، ص ٢٤٦.

[٥] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

[٦] سليمان شاه بن برجم الابوائي مقدم الطائفة التركمانية المعروفة بالابواء ومن ابرز قادة الخليفة المستعصم بالله. ينظر: ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٧م، ج٧، ص ٢٣٩؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٠.

[٧] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٩.

[٨] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٠؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ٣٦.

[٩] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧١؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٠– ٢٩١.

[١٠] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩١؛ أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٩٤.

[١١] أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٩٤.

[١٢] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ١٣٧.

وذكر ان أعمال النهب والتخريب انتهت بعد رحيل هولاكو من بغداد في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر بسبب سوء الأحوال الصحية في المدينة بعد ان منح سكانها الأمان[١].

فاختلف المؤرخون حول عدد الذين لقوا مصارعهم على أيدي المغول في بغداد فذكر ابن الفوطي ان عددهم زاد على ثمانمائة ألف ما عدا من مات ومن هلك في السراديب والآبار[٢]، بينما أشار ابن خلدون الى ان عددهم بلغ الفاً وثلاثمائة ألف[٣]، في حين قدر عددهم المقريزي بحوالي ألفي قتيل [٤]، ولا شك ان هذه التقديرات مبالغ فيها واننا نتفق مع ما ذكره احد الباحثين[٥]بان الاسوار بغداد كانت ذات مساحة صغيرة لا يمكن ان تضم الملايين من السكان، كما ان عدداً كبيراً منهم نجا بعد سماعهم باقتراب المغول، فضلاً عن عودة الازدهار إلى المدينة بعد مدة.

ويلاحظ ان اغلب الذين نجوا من هذه المذابح هم أهل الذمة من النصارى واليهود ومن التجأ إليهم وكذلك من احتمى بدار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وبعض التجار الذين حصلوا على الأمان مقابل أموال دفعوها إلى المغول[٦].

بعد ذلك أمر هولاكو بقتل الخليفة المستعصم بالله في يوم الأربعاء رابع عشر من صفر، ثم قتل أبناءه وعدد من أفراد الأسرة العباسية وبهذا أصبح العراف خاضعاً للاحتلال المغولي (الاليخاني)[٧].

٢- البصرة في ظل السيطرة المغولية:

اضطربت أوضاع العراق العامة بسبب الحصار الذي فرضه الجيش المغولي بقيادة هولاكو على مدينة بغداد، وقد نزح عدد كبير من أهالي بغداد والمدن المجاورة كالحلة والكوفة إلى منطقة البطائح[٨] مع أولادهم وأموالهم خوفاً من المغول، خاصة بعد سماعهم بما ارتكبوه من أعمال وحشية وجرائم قتل ونهب في المناطق التي اجتاحوها ولم يبق في المدن إلا عدد قليل من السكان[٩].

---

[١] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٢؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٣.

[٢] الحوادث الجامعة، ص ٣٦٠.

[٣] العبر، ج٥، ص ٦١٣.

[٤] السلوك، ج١، ق٢، ص ٤١٠.

[٥]خصباك، العراق، ص ٥٦.

[٦] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢١٥. وابن العلقمي، مؤيد الدين ابو طالب محمد بن احمد، وزير الخليفة المستعصم بالله عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م واستمر بعد احتلال المغول لبغداد شهوراً ثم مرض ومات عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. ابن الطقطقي، محمد بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري، الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٩٩- ٣٠٠.

[٧] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٥٧- ٣٥٨؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٤؛ الكتبي، عيون التواريخ، التواريخ، ج٢٠، ص ١٣٤.

[٨] البطائح: هي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وقد سميت بطائح لأن المياه تبطحت الى ان سالت واتسعت في الارض. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٥٠.

[٩] الهمداني: جامع التواريخ، ج١، ص ٢٨٦؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٠؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١، ص ٣٩؛ خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الاليخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٥٧.

وخلال الحصار أرسل أهالي الحلة وفد إلى هولاكو ليلتمسوا إليه ان يعين لهم شحنة فأجابهم إلى طلبهم وأرسل كلا من الأمير بوكله والأمير بجلي النخجواني[١]، بعدها أرسل هولاكو الأمير التتري (بوقاتيمور) على ارس قوة لجس نبض أهالي الحلة والكوفة وواسط والوقوف على مدى طاعتهم، ولما شاهد بوقاتيمور ترحيبهم وإخلاصهم غادر الحلة في العاشر من صفر متوجهاً نحو واسط [٢].

وصل الجيش المغولي بقيادة بوقاتيمور إلى مدينة واسط في السابع عشر من صفر، إلا انه لم يستطع دخولها في بداية الأمر بسبب المقاومة الشديدة التي أبداها أهل واسط في الدفاع عن مدينتهم، مما دفع القائد المغولي ان يشن هجوماً واسعاً عليها تمكن أخيراً من الاستيلاء على المدينة بعد ان قتل المغول بما يقارب من اربعين ألف شخص من أهلها، وبعد ان تمكن المغول من فرض سيطرتهم على مدينة واسط، أصبحت البصرة وما حولها في طاعة السلطان المغولي دون قتال[٣].

واخضع المغول بعد مدة من الزمن معظم انحاء العراق، بعد ان قتلوا أعداداً كبيرة من سكانها وخربوا كثيراً من المواقع ونهبوها، وبذلك فقد العراق كافة مقوماته السياسية والإدارية والمالية وأصبحت مدنه خاضعة لسلطة الحكام المغول ونوابهم، وشكلت مدينة البصرة مع واسط احدى أهم (أعمال) العراق خلال الفترة المغولية، ولذلك عين عليها عاملاً واحداً وهو (سراج الدين بن البجلي) وسموه صدراً الأعمال الواسطية والبصرية[٤].

لقد رافقت عمليات الغزو المغولي لمدن العراق أعمال التخريب الإداري والمالي ومنها مدينة البصرة بصورة خاصة، ذكر لنا صاحب كتاب الحوادث الجامعة في عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م ان سراج الدين بن البجلي صدر واسط والبصرة الذي كان قد توجه إلى الأردو[٥]((ثبت عليه انه اخربها (البصرة) واهمل مصالحها)) فأمر بقتله وعين في واسط مجد الدين صالح بن الهذيل[٦]، وفي عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م قبض الصاحب شمس الدين [٧] على ابن الهذيل وطولب بالاموال التي نهبها وقبض على أصحابه ونوابه[٨].

---

[١] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٥– ٢٩٦؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٠؛ ميرخواند، تاريخ روضة روضة الصفا، ج٥، ص ٢٤٣.

[٢] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٢؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٦؛ التكريتي، بغداد، ص٢٧.

[٣] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٢؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٦؛ الحلي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٥م، ج١، ص ٦٩.

[٤] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٢.

[٥] الأردو: بضم الهمزة وسكون الراء وهو المعسكر في اللغة المغولية، ويكنى به عن حضرة سلطان المغول، بمعنى أنه البلاط المغولي. ينظر: ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، مجمع الآداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران، ١٤١٦هـ، ج١، الهامش، ص ٣١٧.

[٦] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٨.

[٧] شمس الدين الجويني صاحب ديوان الممالك قتل في عهد السلطان أرغون عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ونقل الى تبريز حيث دفن الى جانب أخيه علاء الدين. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٧٤ – ٤٧٥؛ الغياثي، عبد الله كان حيا عام (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥م، ص ٤٤– ٤٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٣٨٢.

[٨] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨٠.

ومن الإجراءات الأخرى التي اتخذها المغول ضمان العراق ومدنه ومنها مدينة البصرة إلى عدة أشخاص لضمان حصولهم على الأموال اللازمة لهم، ففي عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م عقد ضمان العراق على جمال الدين إبراهيم[١] بن السواملي وامام الدين يحيى البكري[٢] القزويني وبموجب ذلك رتب زين الدين محمد الخالدي قاضياً للقضاة في بغداد، ويبدو ان زين الدين كان قد منح صلاحيات واسعة بمقاضاة من ينكل عن دفع الضرائب الباهضة التي كان يفرضها الوكلاء والضمناء أو من يمتنع من التنازل عن ممتلكاته وأمواله أو أية متطلبات أخرى يحتاجها الحكام المغول أو من ينوب عنهم، لذلك وقعت المنافسة بينه وبين عماد الدين البصري قاضي القضاة السابق علة أموال كان قد سومح بها أبوه عندما كان متولياً على البصرة [٣].

ويبدو ان المغول قد أعاروا أهمية كبيرة للبصرة وواسط حيث تم استغلال مواردها وأموالها ففي عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م أمر السلطان أرغون الضمناء والعمال بجرد حساب العراق ومدنه بهدف الحصول على المزيد من الأموال، وتخلف على الضمناء الشيء الكثير من المال " فطولبوا به وضويقوا عليه "، كما ألزم أهل بغداد بتقديم الأموال واستوفى ذلك بالعسف والقوة، أما الناس الذين يعجزون عن دفع الأموال فبيوتهم تكون عرضة للنهب والبيع، وغالباً ما يجمع نواب الأعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك[٤].

مما يدل على استغلال الحكام المغول ونوابهم لموارد العراق المالية وعدم الاهتمام بمدنه واعمارها وتفقد أحوال أهلها والنظر في مصالحهم، فضلاً عن أساليب التعسف التي اتبعها المغول في تعاملهم مع الناس.

وتكرر هذا الاجراء طيلة الحقبة المغولية ففي عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م عهد المغول أمر العراق إلى جمال الدين[٥] الدستجرداني وبعد جلوسه في الديوان طلب من فخر الدين مظفر بن الطراح (صدر الحلة) وطالبه بالأموال بعد ان ولاه قوسان[٦] وواسط والبصرة[٧]، ولعل أسباب ذلك لما يقدمه هؤلاء الصدور والنواب والضمناء من أموال يقررها المغول وأعوانهم.

أما عن القبائل العربية فيظهر انها استقرت في داخل المدن وخارجها، وقد مارست أنواع الحرف، فبالإضافة إلى حرفة الرعي قاموا بحماية القوافل التجارية واخذ ضريبة الخفارة التي تفرضها على القوافل المارة بأراضيها، وأحياناً تلجأ هذه

---

[١] وهو من بلدة الطيب بواسط، اشتهر بالاموال الكثيرة، وله جاه عظيم وسلطة واسعة ايام الدولة المغولية وكان شريكاً في ضمان ضرائب العراق وخراجه خلال سنتي ٦٩٦ و ٦٩٧هـ. ينظر عنه: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، الهامش، ص ٢٢٥؛ الحوادث الجامعة، ص ٥٣٤، ٥٣٩.

[٢] قدم العراق في عام ٦٩٣هـ/١٢٩٤م وتولى ديوان بغداد في عهد السلطان كيخاتو (٦٩٠- ٦٩٤هـ/١٢٩١- ١٢٩٤م)، وقي توفي في الحلة عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م ونقل الى بغداد ودفن في تربة عملها بنفسه في مدرسته بدرب فراشا. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥١٧، ٥٤٥.

[٣] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٣٤؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص ٣٧٨.

[٤] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٦١- ٤٦٢؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص ٣١٣.

[٥] تقلد عدة وظائف ومناصب ادارية في الدولة الاليخانية ثم عين صاحباً لديوان بغداد عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٥، ٥٠١، ٥٢١- ٥٢٢، ٥٢٩.

[٦] قوسان: كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤١٣.

[٧] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٢١- ٥٢٢. وعن فخر الدين مظفر بن الطراح ينظر: المبحث الثاني (الصدر).

القبائل إلى مهاجمة المدن القريبة منها وقطع طرق المواصلات بينها [١]، وقد اتسم موقف هذه القبائل بالتذبذب وبما يتناسب مع مصالحها، إلا ان موقفها في الغالب كان معادياً لسلطة الاحتلال المغولي، ولهذا نجد ان قبيلتي عبادة[٢] وخفاجة[٣] كانوا عيناً على المغول للسلطان المملوكي[٤].

لقد تعرضت أعمال البصرة إلى حالات من الفوضى وعدم الاستقرار بسبب موقف القبائل ومنها قبيلة خفاجة التي كانت تقوم بمهاجمة القوافل المارة بأراضيها في أواخر العصر العباسي[٥]، واستمر موقفها كذلك في مرحلة السيطرة المغولية وقد أشار الرحالة ابن بطوطة إلى نفوذ وسطوة هذه القبيلة وانه لا يمكن لأحد السفر في مناطقها إلا برفقة أدلاء من قبيلتهم واعتادوا على تسيير القوافل وحمايتها[٦].

ويمكن القول ان هذه القبائل العربية كانت خارجة عن سلطة السلطان المغولي، بدليل ان ابن الفوطي عند كلامه عن فخر الدين مظفر بن الطراح الذي كان يتولى صدرية الأعمال الواسطية والبصرية في بداية حكم السلطان غازان[٧] ذكر

---

[١] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٢١– ٢٢؛ القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٣م، ص ١٩٤.

[٢] عبادة: بطن من عقيل من بني عامر بن صعصعة من العدنانية ومنازلهم كانت في الجزيرة الفراتية. ينظر: القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٨م، ص ٣٠٩–٣١٠.

[٣] خفاجة: بطن من بني عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة من العدنانية وهو بنو خفاجة بن عمر بن عقيل بن كعب كعب وقد انتقلوا في آخر الايام الى العراق والجزيرة. ينظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن أبي الكرم، اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٦– ١٣٥٧هـ، ج١، ص ٨١؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٧٢.

[٤] المقيزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٤٧٦. والمماليك هم من الاتراك استخدامهم الايوبيون كفرق عسكرية في جيوشهم، وبعد وفاة السلطان نجم الدين ايوب وتولى ابنه توران شاه الحكم تمكن المماليك من السيطرة على مقاليد الحكم وحكموا مصر من عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م الى الفتح العثماني في مجموعتين عرفتا بالمماليك البحرية والمماليك البرجية. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٩٠؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف (بالخطط المقريزية)، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٢، ص ٢٣٦– ٢٣٨، ٢٤٧.

[٥] ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠م، ج١٠، ص ٢٠٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص ٧٦، ١٢١؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، مطبعة دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٧٠م، ج٤، ص ١؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير، ص ١٩٩.

[٦] ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة المسماة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار)، المطبعة الازهرية، القاهرة، ١٩٢٨م، ج١، ص ١١٣.

[٧] السلطان غازان بن أرغون بن أباقا خان بن هولاكو خان ولد عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م تولى عرش السلطنة عام (٦٩٤– ٧٠٣هـ/١٢٩٤– ١٣٠٣م)، تسمى محموداً عندما أعلن اسلامه، وكانت وفاته عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م فنقل الى تبريز ودفن هناك. ينظر: أبو الفداء المختصر، ج٤، ص ٥٠؛ المستوفي، حمد الله بن أبي بكر القزويني (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تاريخ كزيدة، باهتمام عبد الحسين النوائي، طهران، ١٣٣٦هـ. ش، ص ٦٠٢؛ حيدر، عبد الرحمن

بانه ((كان شجاعاً في قتال الاعراب الخارجين عن سنن الصواب))[١]، مما يدل على ان هذه القبائل كانت خارجة على سلطة السلطان المغولي، لذلك سار السلطان غازان لقتال هذه القبائل في عام ٦٩٨هـ/١٢٩٩م وقد اوقع فيهم القتل والنهب[٢].

وخلاصة القول ان هذه القبائل كان لها دور كبير في الصراع السياسي والعسكري بين المغول والمماليك، ومع ذلك بقي ولاؤها غير مستقر فتارة تقف مع المغول وأخرى مع المماليك، فضلاً عن دورها الفعال والمؤثر في الاحوال السياسية والاقتصادية في العراق ومدنه.

فلم تستقر أحوال البصرة السياسية في أواخر العصر المغولي، ففي عهد السلطان غازان كانت البصرة تتبع إلى حاكم يعينه شحنة بغداد المغولي[٣]، وأشار ابن الفوطي بان عز الدين أبو طالب المعروف بالدلقندي[٤] كان حاكماً على البصرة خلال حكم السلطان[٥]خدابنده[٦]، أما في عهد ابنه السلطان أبو سعيد[٧] فقد تولى البصرة ركن الدين الفارسي التوريزي [٨]، وفي عام ٧١٦هـ/١٣١٦م قصد حميضة[٩] بن ابي نمى السلطان خدابنده ليملكه مكة بدلاً من أخيه رميثة، فجهزه السلطان

فرطوس، العراق في عهد السلطان محمود غازان، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨م، ص ١٧– ١٨.

[١] ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٣، ص ٢٠٧.

[٢]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٣٨.

[٣] الاعظمي، علي طريف، مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٧م، ص ١٢٠.

[٤] هو ابن ركن الدين ابي طالب محمد ويعرف بالدلقندي، كان له جلالة وتقدم عند السلطان خدابنده، وبيت الدلقندي من البيوت العلوية المشهورة في أواخر القرن السابع والثامن الهجريين. ينظر: ابن عنبه، جمال الدين احمد بن علي (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م) عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ٢٠٠٦م، ص ٣١٨– ٣١٩.

[٥] السلطان خدابنده بن أرغون تولى الحكم عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م بعد وفاة السلطان غازان، اسلم وتسمى محمد، توفي عام ٧١٦هـ/١٣١٦م في المدينة التي اسماها السلطانية بعد ان حكم مدة ثلاث وعشرين عاماً. ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٨١؛ المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٦.

[٦] مجمع الآداب، ج١، ص ١٩٨؛ رؤوف، عماد عبد السلام، الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٢م، ص ٣٧٩.

[٧] السلطان ابو سعيد بن خدابنده بن أرغون خان وهو آخر سلاطين المغول، تولى الحكم عام ٧١٦هـ/١٣١٦م واستمر حتى وفاته عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م وحكم عشرين عاماً. ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص ١١٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو محاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د. ت، ج٩، ص ٣٠٩.

[٨] الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، ص ١٢٠.

[٩] هو ابن الشريف أبو نمر محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة توفي والده عام ٧٠١هـ/١٣٠١م وتنازع أولاده (حميضة، ورميثة وابو الغيث وعطيفه) على امارة مكة. ينظر: العزاوي، تاريخ العراق، ص ٤٤١.

وسار معه الدلقندي نائب السلطنة بالبصرة مع عسكر من المغول والعرب حتى تجاوزا البصرة، فبلغهم موت السلطان خدابنده فتفرق العسكر وعادوا إلى البصرة[١].

وبعد وفاة السلطان أبي سعيد عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م استأثر شحنة بغداد المغولي بالسلطة وتمرد على أسرة المغول الحاكمة في إيران، فقامت الفتن والحروب بين الأسر المغولية، وعلى أثرها تغلبت بعض القبائل العربية على البصرة والكوفة ولكنها لم تستمر طويلاً حيث اتجهت بعض القبائل المغولية المتمردة بقيادة حسن الكبير الجلائري الذي كان يحكم السيطرة على آسيا الصغرى، فاستولى على العراق عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م وقامت على اثر ذلك الدولة الجلائرية[٢].

المبحث الثاني

إدارة البصرة

بعد احتلال المغول العراق أرسل هولاكو إلى مؤيد الدين ابن العلقمي وعينه وزيراً، واسند ديوان العراق إلى فخر الدين الدامغاني (صاحب ديوان الخليفة المستعصم بالله) ومنصب الشحنة إلى علي بهادر[٣]. وقد أبقى المغول التقسيمات الإدارية في العراق على ما كانت عليه الدولة العباسية في أواخر عهدها، ثم قام السلاطين المغول بدمج الوحدات الإدارية إلى وحدات رئيسة اكبر تسمى (اعمال) ماعدا بغداد فإنها بقيت على حالها السابق فمنها الاشراف على العراق وصولاً إلى تحقيق سيطرة مركزية قوية[٤]، لهذا قسم العراق على خمس وحدات إدارية هي الاعمال الشرقية وتشمل (الخالص وطريق خراسان والبنديجين) والاعمال الفراتية وتشكل (حوض الفرات من الانبار جنوباً إلى عانه والقائم شمالاً) واعمال دجيل والمستنصري والاعمال الحلية والكوفية والاعمال الواسطية والبصرية، ثن أضيفت إليهما فيما بعد الموصل واربل وكثيراً ما تدمج في إدارة واحدة[٥]، ويتولى إدارة هذه الأعمال مسؤول يقال له (صدر) وكان تعيينه يتم من صاحب الديوان في بغداد واليه حق عزلهم ومحاسبتهم[٦].

---

[١] العزاوي، تاريخ العراق، ص ٤٤١؛ الرفيعي، عبد القادر، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، مطبعة الفرات، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٦٥– ١٦٦.

[٢] سميت نسبة الى قبيلة جلائر وهي من أصل مغولي، وقد نشأت هذه الدولة بعد وفاة السلطان أبو سعيد آخر السلاطين السلاطين المغول عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م. ينظر: القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، الكويت، ١٩٦٤م، ص ١٦٩؛ الاعظمي، تاريخ مختصر بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م، ص ١٤٩؛ الرفيعي، العراق، ص ١٧٥.

[٣] الطوسي، كيفية واقعة بغداد، ص ٢٩١ – ٢٩٢؛ الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٠؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦١.

[٤] رؤوف، الاسر الحاكمة، ص٢١.

Al – Feel , M. R, The historical geography of Iraqi between the Mongolian and attoman conquests , 1258– 1534 , Baghdad , 1967 , Vol. 2, P. 181.

[٥] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨٠، ٤١٦ والبندنيجين، بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، وتسمى اليوم مندلي. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٩٩.

[٦] ابو الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨٠، ٤١٦.

ومن أهم هذه الوظائف الإدارية:

١- الشحنة:

وظيفة جديدة استحدثها السلاجقة[١] أبان حكمهم لبلاد إيران والعراق، كان يتولاها احد الأمراء العسكريين الأتراك المقربين من السلطان السلجوقي[٢] وهذه الوظيفة هي اقرب ما تكون إلى منصب الحاكم العسكري أو صاحب الشرطة ومهمته حفظ الأمن والنظام في الولاية أو (المدينة) المعين عليها[٣]، وهو المسؤول عن إدارتها ومراقبة المفسدين والقبض عليهم[٤]، ولأهمية منصب الشحنة في هذه الحقبة فان متوليها كان يتم تعينه من السلطان السلجوقي أو من ينوب عنه، وكان يختارون ممن يتصف بالشجاعة والكفاءة العسكرية[٥].

واستمرت وظيفة الشحنة في العصر المغولي ويبدو انها كانت مهمة بالنسبة لهم خاصة في بداية احتلالهم لمدن العراق، باعتبارها وظيفة تهتم بالأمور العسكرية وحفظ الأمن والنظام في المدن[٦]، حتى صار الشحنة بمثابة القائد الاعلى للقوات المغولية في الممالك[٧].

أما صلاحيات تعين الشحنة أو عزله فهي كانت من اختصاص السلطان المغولي[٨]، ويلاحظ ان جميع من تولى منصب الشحنة في المدن العراقية كانوا من المغول[٩]، باستثناء علي بهادر الخراساني[١٠]، مما يفسر عدم ثقة الحكام المغول بغير أبناء جنسهم خاصة فيما يتعلق بالمناصب العسكرية المهمة في الدولة الاليخانية.

---

[١] السلاجقة: قبائل تركية كانوا يسكنون في اقليم تركستان، هاجروا الى اقليم ما وراء النهر وخراسان خلال القرن الرابع الهجري، عرفوا بالسلاجقة نسبة الى زعيمهم سلجوق الذي سار باتباعه الى بلاد المسلمين واعتنقوا الاسلام ثم كونوا بعد ذلك دولة لهم واصبح طغرلبك سلطانا عليهم واحتلوا بغداد عام ٤٤٧هـ/١٠٥٤م. ينظر: الراوندي، محمد بن علي (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، راحة الصدور وآية السرور، ترجمة ابراهيم الشواربي وآخرون، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٤٥؛ الحسيني، ابو الحسن علي بن ناصر(ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، اخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه محمد اقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص ٣٠٢؛ امين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٤٥.

[٢] الاصفهاني، الفتح بن علي بن محمد البنداري (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، تاريخ دولة آل سلجوق، ط٢، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٥٥، ١٤٢، ١٥٢.

[٣] الخالدي، فاضل عبد اللطيف، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٢٢٣؛ بيات، فاضل مهدي، السياسة السلجوقية في العراق، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٨)، بغداد، ١٩٨١م، ص ١٠٩.

[٤] المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣م، ص ١٥٦.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ١١٦، ١٤٣؛ ابن الاثير، الكامل ن ج٩، ص ٨٩؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق العراق في العصر العباسي الاخير، ص ٢٤٥.

[٦] القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص ٢٢٣؛ رؤوف، الاسر الحاكمة، ص ٢٦.

[٧] خصباك، العراق، ص٧٥.

[٨] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦١، ٣٧٣، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٩، ٤٣٨؛ رؤوف، الاسر الحاكمة، ص ٢٦.

[٩] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٩، ٤٧٦، ٥٢٣، ٥٣٦؛ خصباك، العراق، ص ٧٥؛ رؤوف، الاسر الحاكمة، ص ٢٦.

[١٠] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٥؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦١.

كان للشحنة نائب يساعده في أداء مهامه ويحل محله عند غيابه، ففي عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م قام السلطان غازان بعزل الأمير تاولدار (شحنة بغداد) وقد أشار ابن الفوطي ((ان نائبه رستم أساء السيرة وتعدى الحدَّ في الشنقصة[١] وأنواع التأويلات على الناس، واعتمد ما أوجب قتله))[٢]، وبالإضافة إلى نائب الشحنة كان للشحن أيضاً عدد من (النوكرية[٣]) الذين يقومون بتقديم المساعدة والعون للشحن في أعمالهم[٤]، ومما يدلل على أهمية وظيفة الشحن ودورهم العسكري في الدولة المغولية قيام السلطان هولاكو بإرسال عدد من الشحن لفرض سيطرته على مدن العراق، فقد أرسل الأمير (بوكله) شحنة على مدينة الحلة [٥]، بالإضافة إلى ذلك نجد ان بعض الشحن كانوا بمثابة عين للسلطة المغولية على الإدارة المدنية في العراق[٦].

فبعد ان استتب الأمن في العراق اخذ المغول يعينون شحنة واحداً في بغداد، ويبدو ان صلاحيات الشحن العسكرية قد انتقلت إلى (الصدور) لتوطيد الأمن والاستقرار في المدينة[٧]، فلم يعد شحنة بغداد أو ما يسمى (شحنة العراق) يتدخل في شؤون المدن إلا في الحالات الضرورية كما حصل عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م عندما استعان صدر الحلة (ابن محاسن) بشحنة العراق لمساعدته في القضاء على ابي صالح الشخص الذي ظهر في واسط والحلة وادعى انه نائب صاحب الزمان بعد ان عجز في القضاء عليه[٨]، أي ان واجبات الشحنة كانت تتمثل في المحافظة على الأمن والقضاء على التمردات وأعمال العصيان التي تحدث في بغداد ومدن العراق الأخرى.

لما تحررت الخلافة العباسية من السيطرة السلجوقية أصبح الخلفاء العباسيون هم الذين يعينون الشحن في مدن العراق ومنها مدينة البصرة، وكان اغلبهم على ما يبدو من مماليكهم[٩]، وممن تولى وظيفة الشحنة في البصرة أواخر العصر العباسي الأخير سراج الدين سرابه الناصري عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م[١٠]، ولما توفي تولاها الأمير فلك الدين أبو المظفر محمد بن مظفر الدين سنقر بن عبد الله المعروف بوجه السبع الناصري التركي واستمر فيها إلى ان عين شحنة على بغداد[١١]، ومن الملاحظ ان شحنة البصرة وواسط كان يتولاها شخص واحد واستمرت كذلك في العصر المغولي[١٢]، وقد تولاها في البصرة عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ثم فوضت إليه بعد ذلك مدينة البصرة ونواحيها وأصبح

---

[١] الشنقصة: لفظة عراقية في العصر المغولي، وتعني الدس والمكر وعمل السوء. الشبيبي، محمد رضا، اصول الفاظ اللهجة العراقية، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، ١٩٥٦م، ص ٦٦- ٦٧.

[٢] الحوادث الجامعة، ص ٥٣٦.

[٣] النوكرية: كلمة فارسية بمعنى الخدم أو الاعوان، وقد شاع استعمالها في العصر المغولي. الشبيبي، اصول الفاظ اللهجة اللهجة العراقية، ص ٦٩.

[٤] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨٩.

[٥] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص ٢٩٦؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٠.

[٦] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٧٣، ٣٨٣.

[٧] خصباك، العراق، ص ٧٦.

[٨] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٧٥- ٤٧٦.

[٩] حسون، محمد ضايع، البصرة، دراسة اوضاعها السياسية والاجتماعية (٤٤٧- ٦٥٦هـ) مطبعة الفرات، الحلة، ٢٠١١م، ص ١٤٢- ١٤٣.

[١٠] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ١١١.

[١١] ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٣، ص ٢٨٤.

[١٢] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٣- ٤١٤؛ حسون، البصرة، ص ١٤٣.

يعرف بـ(صاحب البصرة)[١]، وكان عز الدين كريماً حسن السيرة توفي عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م ورثاه الشعراء منها قول ابن الكبوش البصري[٢] في قصيده هذا منها[٣]:

لم أبكِ حتى بَكَى لك الكَرَمُ والسَّيف يوم القراع والقلمُ
واحمَّر وجه الثَّرى عليك أسى إذ كلُّ دَمْعٍ جرى عليك دَمَ
لا أحمد الغَيْث ان عَدَاك ولا إذا انبرى في ثراك يَنْسجمُ
وكيف يَسقي ثَراك صَوْب حَيا وفيه بَحْرٌ بالجود يَلْتَطمُ
وأين جُود الغَمامَ منك ولو جادَت علينا بالعَسْجد الدِّيمُ
لو كان يُحي النَّدى الكرام لقد أحياك من بعد موتك الكَرَمُ

ويبدو مما سبق الصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها الشحن في العصر المغولي وارتباطهم المباشر بالسلطان نفسه من حيث التعيين والعزل، وقد زادت أهميتها كثيراً طيلة هذه الفترة لاعتماد السلاطين المغول عليهم في تحقيق الأمن والاستقرار في مدينة بغداد ومدن العراق الأخرى.

٢- الصدر:

إن وظيفة الصدر[٤] هي من الوظائف الإدارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية، وقد وردت وظيفة الوالي في العصر العباسي الأخير باسم الصدر[٥]، وان تسمية الصدر كانت تطلق على رئيس احدى الدواوين المركزية في الدولة العباسية وأيضاً على رئيس الوحدات الإدارية، وأما في العصر المغولي (الاليخاني) فإنها اقتصرت على ما يبدو على إدارة الوحدات الإدارية (المدن) فقط، ويظهر ان الصدر في هذا العصر كان يتمتع بصلاحيات أوسع مما كانت عليه في العصر العباسي الأخير، فهو يشرف على إدارة القوات المسلحة وحماية الأمن في المدينة[٦].

أما صلاحيات تعيين الصدور في العصر العباسي الأخير فقد كانت محصورة بيد الخليفة العباسي الذي كان يعين الصدور في مدن العراق[٧]، وفي العصر المغولي أصبح تعيين الصدور وعزلهم من اختصاص صاحب[١] الديوان[٢].

---

[١] ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

[٢] هو عبد السلام بن الكبوش البصري الشاعر توفي عام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٣٣؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص ٢٨٨.

[٣] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٤.

[٤] وظيفة الصدر: هي احدى وظائف الدرجات العليا في العصر العباسي الاخير، وقد استمرت محافظة على درجتها ومستواها بعد احتلال المغول لبغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م فهي توازي وظيفة المحافظ او المتصرف او المدير العام باختلاف اختصاص الصدرية ومهامها وطبيعة صلاحيتها. ينظر: آل ياسين، محمد مفيد، دراسة في التاريخ الاجتماعي لصدور العراق في عهد التسلط المغولي، مجلة كلية المعلمين، الجامعة المستنصرية، العدد (١٣)، بغداد، ١٩٩٨م. ص١.

[٥] المعاضيدي، واسط في العصر العباسي، ص ١٥٣.

[٦] خصباك، العراق، ص ٧٤؛ رؤوف، الاسر الحاكمة، ص ٢٢.

[٧] عن تعيين الصدور في العصر العباسي الاخير. ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٢، ص ٣٢، ٢٥٥– ٢٥٦.

تولى وظيفة الصدر في البصرة سراج الدين بن البجلي عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م بعد احتلال المغول الاليخانيين العراق، وقد قتل بعد ان ثبت عليه ان خرب البصرة وأهمل مصالحها[٣]، وفي عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م تولى فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان الاعمال الواسطية فاستصحب معه فخر الدين مظفر بن الطراح وجعله نائبا عنه ولما سافر استقل ابن الطراح بالحكم في واسط وأضيف إليه قوسان والبصرة[٤].

وقد أشار ابن الفوطي ان ناصر الدين قتلغ شاه (صدر واسط) كان والياً على البصرة وانه بنى فيها رباطا وحماما ووقفها عليه، وبنى مدرسة في المأمن[٥] (وهي من اعمال واسط) والتي أصبحت فيما بعد محطة تجارية مهمة للقادمين من والى البصرة[٦].

وفي عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م أعيد فخر الدين بن الطراح صدراً في الحلة[٧]، واستمرت على ولايته في اعمالها إلى عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م حيث عزل عن صدارة الحلة وتولى صدارة قوسان وواسط والبصرة[٨]، وفي هذا العام أمر جمال الدين الدستجرداني والي العراق نائبه ببغداد نور الدين عبد الرحمن[٩]بن تاشان بأخذ فخر الدين بن الطراح وقتله، فقام النائب بالمهمة وجاء إلى واسط وقبض على ابن الطراح وأصحابه ثم دوشخ وطوق، واسمع كل قبيح واخذ خطه بأنه وصلت إليه أموالاً كثيرة، وأشهد عليه بذلك القاضي والعدول، وأرسل إلى بغداد وسجن أياماً، وتمت معاقبته بالضرب، وبعدها قتل وحمل رأسه إلى واسط وعلق على جسرها وقد وصفه صاحب الحوادث بانه، ((كان جواداً سخياً كريماً ذا ناموس عظيم وسياسة، يخافه الاعراب وسائر الرعايا، خدم في اعمال العراق كلها. . .))[١٠].

---

[١] صاحب الديوان هو يترأس اعلى وظيفة ادارية في العراق من الناحية الرسمية، أي انه يمثل الادارة المدنية وكان يعين ويعزل من السلطان المغولي مباشرة، ومن مهامه تعيين الصدور في مدن العراق وله الحق في محاسبتهم وعزلهم، ومن واجباته تعيين قاضي القضاة واامير الحج وتنفيذ الاوامر فيما يخص جباية الضرائب وغيرها، ومن اشهر من تولى هذا المنصب علاء الدين عطا الجويني عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٩.

[٢]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٢، ٤١٦، ٥٢٢؛ خصباك، العراق، ص ٦٨؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص ٢٨٨.

[٣]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٦٨.

[٤]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨٠، ٥٢٤.

[٥] المأمن: موضع في نهر جعفر من اعمال واسط أمر ببنائه علاء الدين الجويني صاحب الديوان عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م سماه (المأمن) بنى فيه ديواناً وجامعاً وبعض المرافق الاخرى مثل الخان والسوق والحمام. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٠٧، ٤٩٦.

[٦]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٦.

[٧] المصدر نفسه، ص ٤٩٢.

[٨] المصدر نفسه، ص ٥٢٢.

[٩] رتب صدراً في مدينة واسط عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م وكان جباراً قاسي القلب، أحدث العذاب بالقنارة ولم يدم حكمه طويلاً اذ توفي بعد قتله ابن الطراح بمدة شهرين. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٢٦.

[١٠]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٢٤؛ مجمع الآداب، ج٣، ص ٢٠٦– ٢٠٧.

دفن ابن الطراح في مشهد موسى بن جعفر (عليه السلام)، وقد تجاوز من العمر ستين عاماً، وكان يقول الشعر، وله أشعار كثيرة، مدح بها الصاحب علاء الدين ابن الجويني وأخاه شمس الدين، وآخر ما قاله وهو في السجن بدار نيابة بغداد قبل ان يقتل بأيام، وجدت بخطه[١]

القول فيما مَضى من عُمرنا هَدر فدعه وأصبر لما يأتي به القَدَرُ
واستشعر الصَّبرَ إن نابتك نائبةٌ فالصَّبْر أجمل ما حُلي به البشرُ
ولا ترعك من الايام مَنْقصة فشيمة الدَّهر في أبنائه الغِيرُ
فالشمس كم كُسِفت بعد البَهاء وكم أمسى حليف خُسوف مثلها القمرُ
وبعد ان كُسفا والله مُقتدر عادا ونورهما يعشو له البَصَرُ
فلا تضق خلقاً من نعمة سُلبت فالمال يرجع والرَّزاق مُقتدرُ

وخلاصة القول ان مدينة البصرة طيلة العصر المغولي كانت في وضع إداري غير مستقر، فتارة تدمج بواسط وأخرى تنفصل عنها[٢]، وان منصب الصدر لم يقتصر على العراقيين فحسب بل اعتمد المغول على عناصر أخرى وخاصة الفرس وربما يعود سبب ذلك إلى اتخاذ المغول بلاد فارس قاعدة لحكمهم[٣]، فكان غالبية صدور واسط والبصرة هم من الفرس ماعدا فخر الدين مظفر بن محمد بن جعفر الشيباني العراقي المعروف بابن الطراح الذي تولى صدارة واسط والبصرة أكثر من مرة، وعرف باهتماماته الأدبية وكفاءته الإدارية، ومما يلاحظ ان ظاهرة كثرة تعيين الصدور وعزلهم والمطالبة بالأموال والتعذيب والقتل كانت على ما يبدو سمة من سمات الإدارة في العصر المغولي، وربما يعود الى التنافس المستمر فيما بينهم، وانهم يدفعون أموالاً أكثر من اجل الحصول على المناصب، وهذا يدل على الارتباك والفوضى الإدارية ويفسر لنا أيضاً انتشار ظاهرة الفساد الإداري والمالي في إدارة الدولة المغولية في عموم مدن العراق ومنها مدينة البصرة.

٣- المشرف:

وظيفة من الوظائف المالية المهمة في الدولة السلجوقية، ولها ديوان خاص، ورئيس هذا الديوان يعرف بالمشرف، وهو يهتم بضبط الحسابات والصادرات والواردات والموازنة بينها [٤]، ومن مهامه الاشراف ومراقبة اعمال الناظر[٥] في الولاية (المدينة) المعين عليها[٦].

ويبدو ان منزلة المشرف هي اعلى من الناظر والصدر في الولاية، ولهذا كان يقال فلان ناظر أو صدر وفلان مشرف عليه، فهي اقرب الى وظيفة المدقق والمفتش المالي في وقتنا الحاضر[١].

---

[١] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٢٥.

[٢] رؤوف، عماد عبد السلام، حكام العراق وموظفوه في العهد الاليخاني، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١١)، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٧٩.

[٣] آل ياسين، دراسة في التاريخ الاجتماعي، ص١٠.

[٤] امين، تاريخ العراق، ص ٢٨.

[٥] وظيفة الناظر من الوظائف الادارية في العصر العباسي، وهو مسؤول عن تنظيم واردات الولاية ونفقاتها. ينظر: فهد، تاريخ العراق، ص ١٢٧؛ خصباك، العراق، ص ٧٤.

[٦] المعاضيدي، واسط، ص١٥٨.

تقلد هذه الوظيفة في البصرة خلال العصر العباسي الأخير عدد من المشرفين[٢]، أما في العصر المغولي فان شاغل وظيفة المشرف كان يعين من السلطان المغولي ولا يعزل إلا بأمر منه[٣]، وزادت أهمية هذه الوظيفة لان المغول استحدثوا في عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م منصب مشرف عام على الإدارة المالية في الدولة الاليخانية يدعى باسم (مشرف الممالك)، يعني بضبط قضايا وأموال الدولة، وهو مسؤول عن مشرف بغداد الذي كان لديه نائب عنه في كل ولاية أو(مدينة) ويسمى بالمشرف أيضاً، ولعل من أسباب اهتمام السلاطين المغول بهذه الوظيفة هو رغبتهم في السيطرة على الدولة الاليخانية والمحافظة عليها والحصول على اكبر كمية من الأموال لمعرفتهم بفساد موظفيهم الإداري ين وحجبهم المال عن خزينة السلطان المغولي[٤].

وممن تولى وظيفة الاشراف في واسط والبصرة شمس الدين محمد زرديان عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م عندما كان فخر الدين ابن الطراح صدراً لواسط والبصرة[٥].

٤- القضاء:

إن القضاء في اللغة الفصل والحكم[٦]، أما في الاصطلاح فهو ((منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع)) [٧].

تعد وظيفة القضاء واحدة من الوظائف المهمة في الدولة العربية الإسلامية، لارتباطها بحقوق الناس ونشر العدالة، ويجب على من يتولى هذه الوظيفة ان تتوافر فيه الشروط التي تؤهله للقيام بها وهي ان يكون بالغاً، مسلماً، عاقلاً، حراً، سليم الجسد، عادلاً، عالماً بأحكام الشرع[٨].

فكان القضاء وظيفة أساسية عند العرب المسلمين، وقد شهدت هذه المؤسسة تطوراً ملحوظاً في العصر العباسي، اذ تم فيه استحداث منصب قاضي القضاة للإشراف على النظام القضائي في الدولة العربية الإسلامية [٩]، وتقابل هذه الوظيفة منصب وزير العدل في وقتنا الحاضر[١٠].

اهتم السلاطين المغول بالقضاء من خلال رعاياهم المسلمين، بينما كانت الاحكام الخاصة بهم تستند إلى قوانين (الياسا) وقد استمر هذا الوضع حتى عهد السلطان محمود غازان الذي تبنى الإسلام ديناً رسمياً للدولة الاليخانية[١].

---

[١] فهد، تاريخ العراق، ص ١٢٨؛ المعاضيدي، واسط، ص ١٥٨.

[٢]ابن الساعي، ابو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م؛ ج٩، ٢٨٥.

[٣]رؤوف، الاسر الحاكمة، ص ٢٨؛ حكام العراق، ص ٦٦.

[٤]خصباك، العراق، ص ٧٠؛ رؤوف، الاسر الحاكمة، ص٢٨.

[٥]ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٢٢.

[٦]ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، مجلد ٧، ص٤٠٥-٤٠٦.

[٧]ابن خلدون، العبر، ج١، ص٢٧٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥١.

[٨]الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ- ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٩م، ص١١-١١٣.

[٩]الانباري، عبد الرزاق، النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٧م، ص٢٨؛ خصباك، جعفر حسين، القضاء في العراق في العهد السلجوقي، مجلة الجمعية التاريخية، العدد(٣)، بغداد، ١٩٧٤م، ص٨٧.

[١٠] (١٥٨) فهد، تاريخ العراق، ص١٨٤.

كان قاضي القضاة في العصر المغولي يعين من صاحب الديوان في بغداد، وهو يقوم بتعيين القضاة في مدن العراق[٢]، بينما كان قاضي قضاة الممالك المقيم مع السلطان المغولي يعين القضاة في كافة أقاليم الدولة الاليخانية عدا العراق[٣].

وممن تولى قضاء البصرة في هذا العصر القاضي عز الدين أبو العز محمد بن عبد الله ابن ابي السعود بن جعفر البصري (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) استدعي من البصرة ودرس في المدرسة النظامية عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وكان عالماً فاضلاً، متبحراً في علم التفسير، وقد ناب في الحكم والقضاء ببغداد[٤]، أما القاضي جمال الدين عبد الجبار البصري فقد كان قاضياً في البصرة ثم ولي بعد ذلك منصب قاضي قضاة بغداد عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م في عهد السلطان غازان[٥]، وبعد وفاته عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م تولى ابنه عماد الدين منصور بن عبد الجبار البصري المعروف بابن سيف العيون منصب قاضي القضاة في بغداد[٦]، وكان عماد الدين عالماً فاضلاً له عدة تصانيف منها (الكافي في اعتقاد) في أصول الدين[٧].

وفي عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م عين زين الدين محمد الخالدي قاضي القضاة ببغداد، ويبدو انه منح صلاحيات واسعة من السلطان المغولي، بمقاضاة من ينكل عن دفع الضرائب التي كان يفرضها الوكلاء والضمناء أو من يمتنع من التنازل عن ممتلكاته وأمواله، فواجه عماد الدين البصري قاضي القضاة السابق ووقعت بينهما المنافسة حول المنصب، ويظهر ان زين الدين قاضي القضاة قد تعزز موقفه من المغول لما وجدوا فيه من الطاعة والخدمة لمصالحهم، فضلا عن مساعدة أخيه صدر الدين [٨] الذي كان يشغل صاحب ديوان الممالك، لذلك طالب عماد الدين البصري ((بحقوق ديوانيه)) كان قد سومح بها أبوه عندما كان قاضياً في البصرة، أو انها اموال متبقية عليه لم يدفعها فسلم إلى من يستوفي ذلك منه فادى بعضه في بغداد ثم جاء إلى البصرة لاستيفاء الباقي، فهرب واعتصم بالبطائح قرب البصرة[٩]، وبقي فيها إلى ان كشف أمر صدر الدين صاحب الديوان وتلاعبه في امر الديوان وإفساده في أعماله، فقتل عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، عند ذلك ظهر عماد الدين البصري وتوجه الى الاردو (البلاط المغولي) فأعيد إلى القضاء[١٠].

وهناك عدد من القضاة البصريين كانوا قد تولوا مناصب قضائية في بغداد ومدن العراق الأخرى كمهم القاضي عماد الدين أبو عبد الملك عبد الرحمن بن عبد المنعم بن يحيى بن بدران ابن الكواز القاضي المدرس وهو من بيت العلم والرئاسة، شهد عند قاضي القضاة عز الدين احمد بن الزنجاني في شهر ربيع الآخر عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م وتولى القضاء

---

[١] حيدر، العراق، ص١١٠.

[٢] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣٧٣.

[٣] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٤٢٤.

[٤] ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص٣٠٩-٣١٠؛ الحوادث الجامعة، ص٤١٠، ٤١٣.

[٥] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٢٤؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص٣٦٩.

[٦] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٢٩، مجمع الآداب، ج٢، ص١٨٠.

[٧] ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٢، ص١٨٠-١٨٢.

[٨] هو صدر الدين احمد بن عبد الرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك، قتله السلطان غازان عام ٦٩٧خ/١٢٩٧م وكان ظالماً غير محمود السيرة كما قتل أخيه زين الدين في العام نفسه. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٣٥؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص٣٧٩.

[٩] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٣٤؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص٣٧٨.

[١٠] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٣٩-٥٤٠؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص٣٨٤.

ببغداد[١]، والقاضي عز الدين أبو الرضا احمد بن عبد الملك بن عبد الله الكواز البصري، وصف بأنه من بيت العلم والعدالة والفقه والأدب، ولي القضاء بمدينة تكريت ثم عزل عنها وتولى القضاء بمدينة النيل[٢]حتى عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م[٣].

٥- النقابة:

النقابة هي ((موضعة على صيانة ذوي الانساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف ليكون عليهم أجلى وأمره فيهم أمضى))[٤]، وأطلق على الشخص الذي يتولى النقابة لقب نقيب، وهو مسؤول عن ضبط انساب الاشراف وتدوين مواليدهم ووفياتهم، ومنعهم من ارتكاب المآثم، والمطالبة بحقوقهم ودعوتهم إلى أداء الحقوق وغيرها[٥].

خضع العباسيون والطالبيون لنقيب واحد حتى القرن الرابع الهجري ثم أصبح لكل منهم نقيب خاص بهم[٦]، وفي أواخر العصر العباسي كانت نقابتا العباسيين والعلويين من الوظائف البارزة التي يتولى الخليفة العباسي تعيين نقيبيهما[٧]، ولم تقتصر نقابة العباسيين على مدينة بغداد بل كانت لهم نقابة في معظم مدن العراق ومنها مدينة البصرة[٨].

أما في العصر المغولي فقدت نقابة العباسيين أهميتها بينما ارتفعت مكانة نقابة العلويين[٩]، وأطلق على نقيب الطالبيين أو العلويين خلال هذه المدة اسم نقيب الاشراف[١٠].

وممن تولى نقابة الطالبيين في العصر المغولي النقيب فخر الدين أبو محمد يحيى بن ناصر بن محمد بن يحيى العلوي البصري، كان من نقباء البصرة وساداتهم وقد وصفه ابن الفوطي بأنه ((كان من أفاضل النقباء وأماثل العلماء))[١١]، وتولاها النقيب قطب الدين أبو الحسن علي بن كمال الدين أبو الفتح عبد الباقي بن قطب الدين أبي طالب[١٢]، وبعده تولى النقابة ابنه عماد الدين يحيى بن علي بن عبد الباقي العلوي الحسني البصري، قدم بغداد في رجب

---

[١]ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٢، ص٩٢-٩٣.

[٢] النيل: بلدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد تقع على نهر النيل الذي يتفرع من الفرات حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣٤.

[٣]ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص٧٨-٧٩.

[٤] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٥٣.

[٥] الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٥٤؛ البراقي، السيد حسين بن احمد، تاريخ الكوفة، ط٤، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٢٠-٢٢١.

[٦] متز، أدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٣، مطبعة لجنة التأليف التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص٢٦٣.

[٧] خصباك، العراق، ص٧٣.

[٨] ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠٦؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص١٦١، ١٦٧.

[٩] العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ص١١١.

[١٠] ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص١١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧-٣٨؛ آل ياسين، محمد حسن، تاريخ المشهد الكاظمي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م، ص٢١٩.

[١١] مجمع الآداب، ج٣، ص٢٣١.

[١٢] المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٦.

عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م ويذكر ابن الفوطي بأنه اجتمع معه في المشهد المقدس الكاظمي عند الشيخ غياث الدين [١]أبي المظفر عبد الكريم بن احمد بن طاووس (ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م) وهو من أبناء النقباء[٢].

الخاتمة:

تناول البحث دراسة الأوضاع السياسية والتنظيمات الإدارية في مدينة البصرة خلال العصر المغولي الاليخاني (٦٥٦- ٧٣٨هـ/١٢٥٨-١٣٣٧م).

لقد عانى العراق في حقبة الاحتلال المغولي الأمرين من القتل والسلب والتشريد وخربوا مساحات واسعة في معظم مدنه، فضلاً عن استمرار حالات الفوضى وفقدان الأمن والنظام في عموم مدن العراق ومنها مدينة البصرة، كما شهدت هذه المدة وقوف مدن العراق في مجابهة التسلط المغولي متمثلاً في العاصمة بغداد وبقية مدن العراق الأخرى، بالإضافة إلى دور القبائل العربية التي كانت خارجة في اغلب الأحيان عن طاعة السلطان المغولي، مما دفعهم إلى تجديد الحملات العسكرية للقضاء عليهم وتعرض السكان إلى النهب والقتل.

ويبدو ان المغول قد اعاروا أهمية كبيرة لمدينة البصرة حيث تم استغلال مواردها وأموالها وكان الضمناء والوكلاء يستوفون الأموال بالقوة من السكان وتكرر ذلك في سنوات عديدة من حكمهم.

أما الأحوال الإدارية ومؤسساتها فان الاحتلال المغولي اقر بعض النظم الإدارية المتبعة في العصر العباسي الأخير مع إجراء بعض التعديلات التي تتناسب وطبيعة الحكم المغولي، ولم يعتمد المغول على أبناء البلاد في تولي الوظائف الإدارية، وإنما اعتمدوا على عناصر مغولية وفارسية في إدارة المدن، ولهذا نجد أن غالبية الموظفين الإداري ين ومنهم (الصدر) في البصرة كانوا من الفرس، وان ظاهرة كثرة تعيين الصدور وعزلهم أكثر من مرة والمطالبة بالأموال والتعذيب والقتل تمثل أهم خصائص الإدارة الاليخانية ويدل هذا على عدم استقرار أحوال المدن في هذه المدة والى انتشار ظاهرة الفساد الإداري والمالي في مدن العراق ومنها مدينة البصرة طيلة فترة الاحتلال المغولي.

ملحق رقم (١)

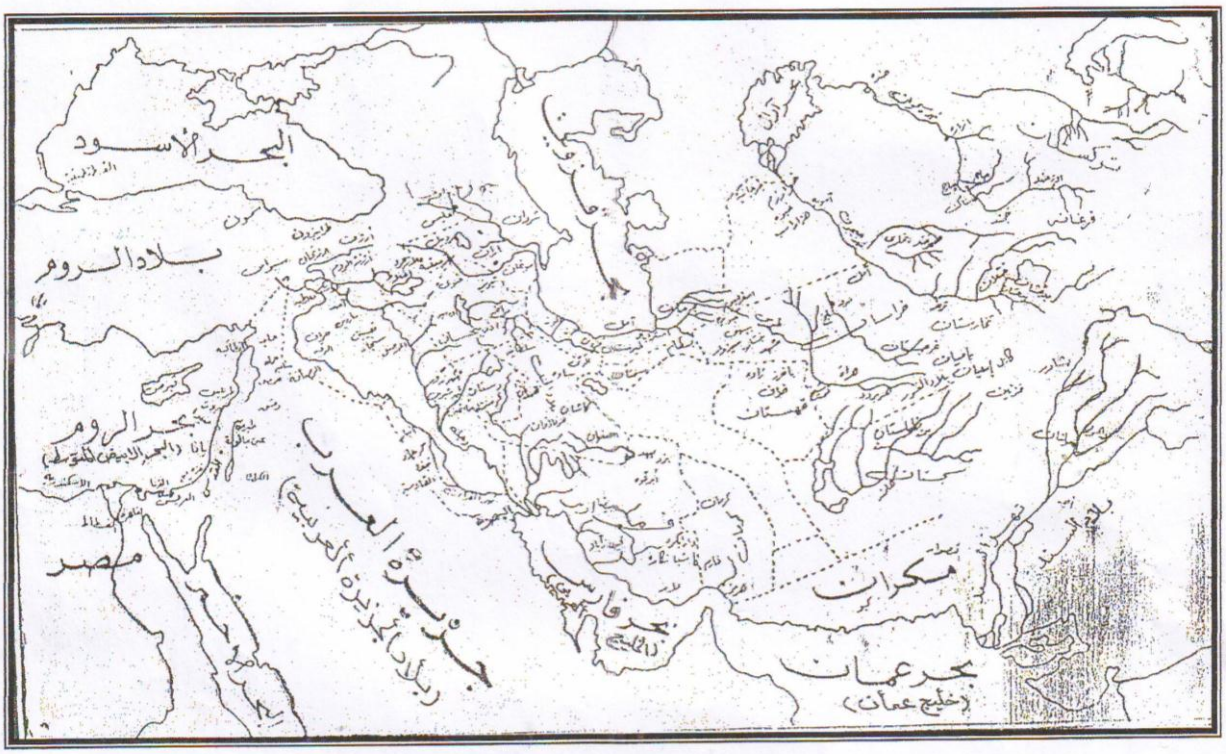

المصدر: الصياد ، مؤرخ المغول ، ص ٥٤٥ .

ملحق رقم (٢) تشكيلات العراق الإدارية

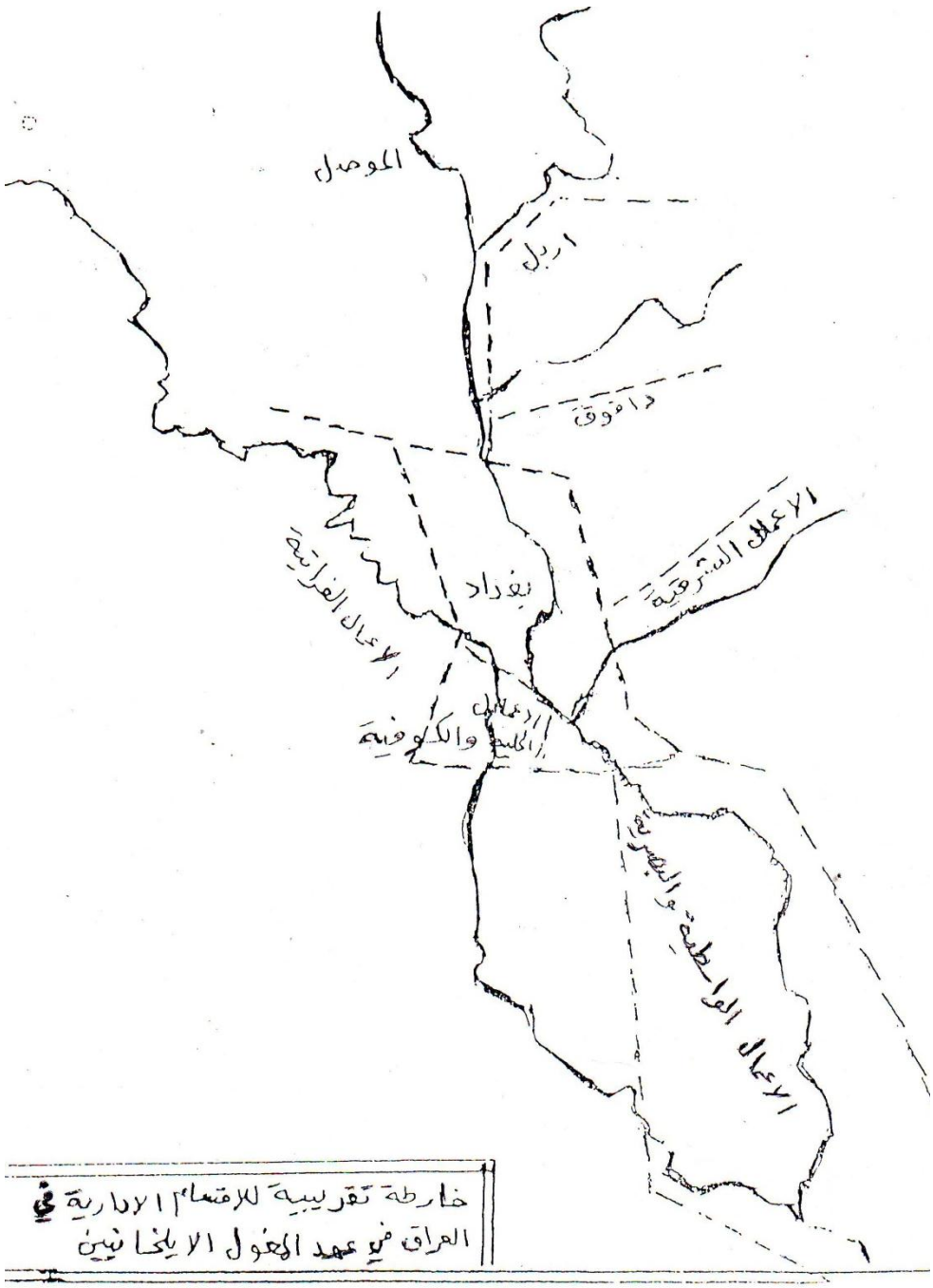

خارطة تقريبية للاقسام الادارية في العراق في عهد الدول الايلخانيين

المصدر: رؤوف، عماد عبد السلام، حكام العراق ووظفوه، ص٨٤.

ملحق رقم (٣)

سلاطين الدولة الإليخانية

	اسم السلطان	مدة حكمه
	هولاكو بن تولي بن جنكيز خان[١]	٦٥١-٦٣٣هـ/١٢٥٤-١٢٦٥م
	أباقا خان بن هولاكو خان[٢]	٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م
	احمد تكودار بن هولاكو خان[٣]	٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢- ١٢٨٤م
	ارغون خان بن اباقا خان[٤]	٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م
	كيخاتوخان بن أباقا خان[٥]	٦٩٠- ٦٩٤هـ/١٢٩١-١٢٩٥م
	بايدو خان بن طراغاي بن هولاكو خان[٦]	٦٩٤هـ/١٢٩٥م
	السلطان محمود غازان بن أرغون خان[٧]	٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٥-١٣٠٤م
	اوليجاتو (محمد خدابنده) بن ارغون خان[٨]	٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٤-١٣١٦م
	ابو سعيد بن اولجايتو[٩]	٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٦

[١] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص٢٣٤، ٣٤١؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣١١، ٣٨٤.

[٢] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص٣؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٤٥٦-٤٧٢.

[٣] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص٩٢؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٥٦، ٤٧٢.

[٤] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص١٢٦، ١٦٢؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٤٧٢، ٥٠٣؛ ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٦، ٢٦.

[٥] الهمداني، جامع التواريخ، ج١، ص١٦٩؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٠٣، ٥٢١.

[٦] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٢١، ٥٢٣.

[٧] ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥٠.

[٨] م. ن، ج٤، ص٨١.

[٩] م. ن، ج٤، ٨١، ١١٨.

ملحق رقم (٤)

قائمة تتضمن صدور الأعمال البصرية في العصر المغولي (الإليخاني)

ت	الصدر	سنوات صدارته
١	سراج الدين بن البجلي[١]	٦٥٧هـ/١٢٥٩م
٢	فخر الدين مظفر بن الطراح [٢]	٦٦٠هـ/١٢٦٢م كان نائباً عن الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان في واسط ثم أضيفت إليه صدارة قوسان والبصرة
٣	الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي[٣]	٦٧٦-٦٧٧هـ/١٢٧٧-١٢٧٨م
٤	فخر الدين مظفر بن الطراح[٤](مرة ثانية)	٦٩٤هـ/١٢٩٥م
٥	عز الدين ابو طالب الدلقندي[٥]	نائب السلطنة بالبصرة في عهد السلطان خدابنده (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٤-١٣١٦م)
٦	ركن الدين الفارسي التوريزي[٦]	كان على البصرة في عهد السلطان ابو سعيد (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٦م)

[١] ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٣٦٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٨٠، ٥٢٤.

[٣] المصدر نفسه، ص٤٩٦.

[٤] المصدر نفسه، ص٥٢٢.

[٥] ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٣١٨-٣١٩؛ العزاوي، تاريخ العراق، ص٤٤١؛ رؤوف، الأسر الحاكمة، ص٣٧٩.

[٦] الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، ص١٢٠.